استنباط مفاهيم تربوية للمآثر الإيمانية والتعبدية لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن

د. الهادي أحمد محمد حسن*

المستخلص:

لقد أسهمت بجهد المقل في ما يتعلق بالمفاهيم التربوية للمآثر الإيمانية والتعبدية لأمهات المؤمنين– رضوان الله عليهن–، من خلال هذا البحث، فالحديث عن المفاهيم التربوية و الإيمانية والتعبدية ذو شجون، وأفنانه كثيرة متنوعة لا يمكن حصرها، لأن التربية الإيمانية والتعبدية، هي أساس الدعوة الإسلامية ولبها، وقد نبعت عن هذه المفاهيم التربوية والإيمانية والتعبدية مفاهيم أخرى، وما هذا إلا إشارات سريعة تبرز بعض ما تكفلت به أمهات المؤمنين، بتبليغه في هذا الجانب، وليس كل ما تكفلن به، فجزاهن الله خيراً كثيراً مباركاً فيه. فمصطلح أمهات المؤمنين ذو دلالة تربوية وإيمانية وتعبدية. لها أثرها في حياة الفرد والجماعة، كما يعد فضيلة من الفضائل الكبرى التي لها السمة البارزة، يمكن أن يستمد منها ما يعين على حفظ وكرامة المرأة، في شتى مناحي الحياة. وتتمثل أهمية البحث في دراسة خير فضليات البشر من النساء _ أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن_ والتأسي بهن في شتى مجالات الحياة كما يهدف البحث إلى الاستفادة من دور التعليم في الدول الإسلامية من الجوانب الإيمانية والتعبدية في غرس المفاهيم التربوية في نفوس الطلاب. واتبعت المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وأبنت من خلاله الجانب النظري والعملي للمفاهيم التربوية للمآثر الإيمانية والتعبدية.

الكلمات المفتاحية:

أمهات المؤمنين، مفاهيم تربوية , الايمانية, التعبدية .

*أستاذ مشارك: جامعة القضارف كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

Abstract

I have paid an effort with regard to pedagogic concepts of faith and practical of the mothers of believers may Allah pleased them.through talk about educational concepts and faith is fraught, and cannot be limited because the education of faith and worship is the basis of the Islamic call and stemmed from these educational concepts, faith and worship other concepts. These quick sings highlight some of the doing of the mother believers may Allah pleased with the notification of the concepts.

The term of the mothers believers has an educational and religious significant, that has an impact on the line of the individual and community and is considered a virtue of the greet virtues which have the salient characteristic that can be derived from preserving the dignity of woman in all walk of live.

The importance of this research is to study the best human preferences of woman and benefit from them in all aspects of the life.

The research aims to benefit from the role of education in Islamic countries from concepts of faith and worship and instilling educational concepts in to students. I followed the method of inductive, descriptive analytical and proved through the theoretical and practical aspects of the educational concepts of the effects of the faith and word ship, and concluded of the end of the research to the most important finding and recommendation.

المقدمة:

برزت المفاهيم التربوية والإيمانية والتعبدية في سيرة أمهات المؤمنين –رضوان الله تعالى عنهن –من خلال أساليب الحياة التي أتبعنها، التي اتضحت في عشرتهن للرسول – صلى الله عليه وسلم –وسلوكهن في بيوتهن وخارجها، وتجاه بعضهن بعضاً، وتجاه الآخرين من الرجال والنساء. كما اتضحت من خلال الأحداث التي كانت تقع، فتتخذ أمهات المؤمنين تجاهها موقفاً معيناً أو يجبن عنها بجواب، تتحصل منه الفائدة التربوية. واتضحت كذلك فيما روينه من أقوال وأفعال، كان الرسول – صلى الله عليه وسلم –يفعلها، فحرصت أمهات المؤمنين على نقلها وإيضاحها. وقد كانت تلك الأساليب والأحداث والروايات، زاخرة بالمواقف والسلوكيات التربوية والإيمانية والتعبدية المختلفة، المتعددة المفاهيم، والتي تمثلت في عدة نواحي، كالناحية الإيمانية والأخلاقية والعلمية وغيرها، مما سيرد تفصيله في هذا البحث–إن شاء الله، حيث تم تقسيم البحث إلى مطلبين كما هو موضحاً في ثنايا البحث.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية البحث إلى دراسة خير فضليات البشر من النساء – أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن – والتأسي بهن، في شتى مجالات الحياة.

أهداف الدراسة:

1-يهدف البحث على أن تستفيد وزارات التربية والتعليم في الدول الإسلامية من المآثر الإيمانية والتعبدية التي اهتمت بها أمهات المؤمنين.

2-يهدف البحث إلي غرس المفاهيم التربوية والإيمانية والتعبدية في نفوس الطلاب.

3-يهدف البحث إلى ضرورة تناول الباحثين للمآثر التربوية والإيمانية والتعبدية وغيرها فيما أثر عن أمهات المؤمنين.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وبينت فيه الجانب النظري والعملي للمفاهيم والتربوية والإيمانية والتعبدية.

المطلب الأول

الجوانب التربوية الإيمانية

أولاً: الحض على ذكر الله تعالى – وشكره:

ذكر الله تعالى وشكره، هو الزاد الروحي الذي يتزود به العبد، لتبقى روحه متصلة بالخالق جل وعلا ومستلهمة منه دوافع الثبات على الطاعة والخضوع.

لذا حث المولى جل وعلا عباده على الذكر في قولة تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا). وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة للمسلمين عامة. ولأمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عنهن، خاصة في الذكر والشكر وكل حركاته، وسكناته، وأقواله، وأفعاله وقد وعد أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عنهن، أهمية الذكر والشكر، فطبقتهن وأرشدن غيرهن إلى ضرورة تطبيقه.

ومن الأمثلة على ذلك ما روته السيدة حفصة عن حال الرسول صلى الله عليه وسلم قالت: (كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ثلاث مرات) [1]. وذكرت السيدة عائشة، فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة فقالت: (كان رسول الله صلى عليه وسلم إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام) [2].

كما ذكرت السيدة أم سلمه الدعاء الذي علمها الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت: قال: (قولي: اللهم هذا استقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعائك، وحضور صلواتك، أسألك أن تغفر لي) [3].

وذلك بالإضافة إلى ما روته، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول دبر كل صلاة فجر:(اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، ورزقاً طيباً) [2]. كما ذكرت السيدة عائشة الذكر الذي كان يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يستيقظ من الليل فقالت: (كان إذا استيقظ من الليل، قال: لا إله إلا أنت سبحانك اللهم، أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علماً، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) [4]. وقد كان دوام الرسول صلى الله عليه وسلم على ذكر ربه وعبادته مما علمته أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عنهن وتعودن عليه.

لذا عجبت السيدة عائشة، من نفسها لعدم انصراف تفكيرها إلى معاهدته في رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذكر والطاعة. وفي ذلك تقول: (افتقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت فإذا هو راكع أو ساجد يقول سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت فقلت بأبي أنت وأمي إني لفي شأن وإنك لفي آخر) [1]. وهذا الموقف يبين تعجب السيدة عائشة من انصراف تفكيرها إلى الغيرة في وقت التهجد والذكر لذا قالت: رضي الله عنها: (بأبي أنت وأمي إني لفي شأن، وأنك لفي آخر) [3]. لتثنى عليه –صلى الله عليه وسلم–ولتبين ما قصر عنه تفكيرها وهو ضرورة الذكر في ذلك الوقت ولتبين أيضاً الفرق الشاسع بين ما كان عليه حال رسول الله صلى عليه وسلم من الذكر والطاعة وبين الحال الذي كانت عليه هي من الغيرة.

وكل ما سبق يدل على أن الأذكار دروس تربوية، تأخذ بيد الإنسان إلى الطمأنينة، والتوازن النفسي، وتشعره بقرب ربه منه، فتطمئن نفسه، وتسمو روحه لكي تنهل من فياضات الرب –جل وعلا –فيصبح إنساناً سوياً تقياً يسير في درب الهداية. وهو سلاح قوى يواجه المسلم به أعداءه من الجن والإنس وذلك مايدركه كل مسلم كمل إيمانه وعلا يقينه وقوى اتصاله بحسن الظن بربه. أما الذين انصرفوا عن ذكر ربهم، فأطبقت عليهم الأمراض النفسية، فمن الجدير بهم أن يقبلوا على ذكر ربهم لما في الذكر من دواء ناجع لدائهم.

ومن الذكر أيضاً شكر الخالق سبحانه على إنعامه وفضله ومن الشكر معرفة قدر تلك النعم والحفاظ عليها.

ويتجلى ذلك في موقف السيدة ميمونة رضي الله تعالى عنها عندما أبصرت حبة رمان في الأرض فأخذتها وقالت: (إن الله لا يحب الفساد) [5]. ويتضح من هذا الموقف ضرورة استشعار عظمة نعم الله تعالى على عباده وإن كانت في مثل حبة الرمان، ذلك لأن الخالق سبحانه وتعالى يمتن على عباده فيرزقهم ويتفضل عليهم ويحب شكرهم وعرفانهم بهذه النعم ليزيدهم منها وفي ذلك يقول سبحانه:(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ). فشكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة. والنفس التي تشكر الله على نعمته تراقبه في التصرف بهذه النعمة بلا بطر وبلا استعلاء على الخلق وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد. وذلك مما يزكى النفس، ويدفعها للعمل الصالح، والتصرف الصالح في النعمة بما ينميها، ويبارك فيها ويرضى الناس عنها، وعن صاحبها فيكونون له عوناً ويصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الثروات في أمان [6]. ويشير الموقف الذي اتخذته السيدة ميمونة إلى استقامة نفسها، مما دفعها إلى كراهية الاستهانة بالنعمة، ومع دقتها وصغر حجمها.

كما أن ذلك يشير إلى أن ما قل وما كثر من النعم على حد سواء في ضرورة العناية والتقدير والعرفان للمنعم به. وذلك يقود إلى الاعتراف بأن الإيمان المتين هو الذي يجعل الإنسان يعي فضل ربه، ويدرك ضرورة شكره والعرفان بمنه وفضله دائماً مما يجعله يدرك أهمية النعمة إن دقت وإن عظمت.

وإلى جانب ذلك ينبغي للمسلم أن يستشعر من خلال ما يدور حوله من مظاهر عظمة الخالق–جل وعلا– ليغرس في نفسه العجب من تلك العظمة فيزداد إيمانه ويقوى يقينه ويتجلى ذلك في موقف السيدة عائشة

رضي الله تعالى عنها وذلك حينما قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات) [7]. وفي سنن ابن ماجه: (تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لا سمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله وهى تقول: أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدى، ظاهر منى، اللهم أنى أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات:" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا"))[8].

وفي هذا الموقف يتضح أن التعجب من قدرة الله تعالى سبيل من السبل التي تقود الإنسان إلى التيقن من أنه مخلوق ضعيف، يحتاج إلى أن يستمد القوة من خالقه دائماً، وذلك أمر من الأمور التي تعزز الإيمان في القلب وتوثقه، وهو أيضاً من الدوافع التي تدفع الإنسان إلى الارتباط بخالقه، واستشعار عنايته ورعايته الدائمة، مما يجعله يتحرى التقوى في جميع أقواله وأفعاله ومما يجعله دائم الذكر والشكر.

وفي هذا الحديث الشريف يبرز التعجب من تلك القدرة العظيمة، التي تسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء والتي تشعر الإنسان بالقدرة المحدودة التي أوتيها في السمع والإدراك فالسيدة عائشة كانت القرب من السيدة خوله – رضي الله تعالى عنهما–حيث كانت في ناحية من البيت، وكانت خوله تشتكي إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم–مظاهرة زوجها لها وتجادله فتعجز السيدة عائشة عن سماع ذلك الجدال تعلن عجزها إلى جانب إعلانها سمع الخالق عز وجل. وتلك هي المرحلة الأولى التي تأخذ بيد الإنسان إلى اليقين بالتفاوت الذي لا يمكن قياسه بين قدرة الخالق –جل وعلا–وقدرة عبيده. وذلك اليقين يؤدى إلى الغاية التي لا بد من التوصل إليها، ليظفر الإنسان بالأجر والثواب. وفي قول السيدة عائشة ما يوضح ذلك حيث قالت: (الحمد لله) وتلك هي الغاية من استشعار قوة الله تعالى فإذا أيقن الإنسان ذلك سلك مسلك الشكر والعرفان والامتنان للنعم بفضله ومنه.

ثانياً: الحض على امتثال أمر الخالق:

لقد كان امتثال أمر الخالق –جل وعلا–نصب أعين أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عنهن ولا ريب في ذلك فهن اللواتي رباهن الرسول –صلى الله عليه وسلم –على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فسلكن ذلك السبيل في حياته عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن السيدة سوده رضي الله تعالى عنها أنها قالت: (حججت واعتمرت فأنا أقر في بيتي كما أمرني الله – عز وجل) [5]. وفي هذه الكلمات ما يبين شفافية. تلك النفس الطيبة التي امتثلت الآمر وذكرت بالآمر ووعظت بذلك الأمر غيرها، بأن جعلت من نفسها رضوان الله تعالى عنها قدوة وأسوة في الامتثال والتطبيق. فبتلك الكلمات، وجهت النساء إلى ضرورة القرار في البيت، وملازمته، وعدم الخروج إلا للحاجة الداعية للخروج. وهذا الالتزام والتطبيق، يعود إلى تقوى الله –عز وجل–وامتثال أمره سبحانه فهو القائل:(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ). ويعود كذلك إلى طاعة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–فقد خاطب عليه الصلاة والسلام أمهات المؤمنين بعد أن حججن معه بقوله:(هذه ثم ظهور الحصر[9]) [4]. ليرشدهن إلى أن الأمر الداعي لخروجهن وهو –الحج–قد انقضى وانقضت الحاجة به وبالتالي فلا خروج إلا للحاجة الماسة ولكن ذلك

الإرشاد لم يكن على سبيل النهى التام فقد التزمته السيدة سوده والسيدة زينب بنت جحش رضوان الله عنهما فقلن (والله لا تحركنا دآبة بعد قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم –هذه ثم ظهور الحصر). وفي رواية: أفضل الجهاد وأكمله حجاً مبرور ثم لزوم الحصر. أما غيرهن من نساء النبي –صلى الله عليه وسلم –فقد كن يحججن بعد وفاته عليه الصلاة والسلام. وفي ذلك الخلاف ما يشير إلى أن المرأة ليست منهية تماماً عن الخروج من بيتها، ولكنها مطالبة بأن يكون البيت هو القرار الذي تسكن إليه غالباً، وهو المكان الذي تنقل فيه، بحيث لا تطيل البقاء خارجه، بل تقدر مكثها في أي مكان آخر بقدر الحاجة التي أخرجتها من بيتها.

ومن هنا يمكن القول للنساء اللواتي عشقن التسوق، وأماكن الترفيه، من حدائق وملاه، ومطاعم وغيرها بقصد الترويح عن النفس والتأمل في كل جديد. أنه قد آن لهن أن يعرفن أن كل تلك المغريات من صنع عدو يريد أن يصرفهن عن التعرف على واجبات دينهن ومسؤولياتهن وما عهد إليهن من عناية ورعاية. وإن مما يعين على الاستقرار، عدم الاهتمام بمتع الدنيا وزينتها، وتحدى الرغبة الداعية إلى الإقبال عليها فقد نقت أمهات المؤمنين –رضوان الله تعالى عنهن–أنفسهن وطهرنها من كل أسباب التعلق، فصفت نفوسهن وتوجهت لخالقها وسعدت بالبقاء والمكث في البيت سنوات عديدة، انتقلن بعدها إلى مرضات الله – عز وجل –وجناته. – رضي الله تعالى عنهن –، وأنزل على قبورهن شآبيب الرحمة والرضوان.

ثالثاً: الحض على الصبر:

لقد أثنى الخالق –جل وعلا– على الصابرين ووعدهم الأجر الجزيل والثواب الرفيع فقال– جل شأنه: (أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ..). وقال :(وجزأهم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا). وقال (أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا) كما بشر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الصابرين ووعدهم الجنة، وقد سمعت السيدة عائشة – رضي الله عنها –تلك البشارة، وأحبت أن يتسع نطاقها فدار ذلك الحوار بينها وبين رسول الله–صلى الله عليه وسلم –قال– عليه الصلاة والسلام: (من كان له قرطان[9]. من أمتي أدخله الله بهما الجنة، فقالت عائشة: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: وكان له فرط يا موفقة، قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: فأنا فرط أمتي، لن يصابوا بمثلى) [(2)]. ومن هذا الحوار الطيب نستشف تلك العظمة البالغة التي تصقل النفس البشرية، وتربيها على تحمل الشدائد. فتنجو من كل ما من شأنه أن يحطم كيانها، أو يؤدى إلى الانهيار، فتبقى سوية متفائلة بما ستحظى من خير ورضوان من الخالق – جل وعلا.

ولم تغب هذه الحقيقة عن فكر السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها – وذلك ما يشير إليه تساؤلها الذي أخذ مأخذ التدرج في رجاء توسيع دائرة تلك الرحمة، حيث رجت أن يحظى من فقد ولداً واحداً من أولاده، بما يحظى به من فقد اثنين فإذا بها تفوز بتبشيره بذلك، من خلال إقرار النبي – صلى الله عليه وسلم – لها بقوله: لها بقوله: (ومن كان له فرط يا موفقة) ليعلمها أن فقد ولداً واحداً أيضاً أدخله الله الجنة.

ولقد كانت –رضوان الله تعالى عنها–بالفعل موفقة، ومما يشير إلى ذلك، أنها انتقلت إلى رجاء تلك الرحمة للأمة الإسلامية كلها، لتسعد قلوباً تتعطش إلى تلك البشارة، وتتوق إليها، وذلك في قولها: (ومن لم يكن له

فرط؟) فيأتيها الجواب الذي تأمل في قولة صلى الله عليه وسلم (أنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلى) وبالفعل فافتقاده –صلى الله عليه وسلم–ليس كأي افتقاد لغيره من البشر وفي ذلك يقول الشاعر:

وما فقد الماضون مثل محمد ** ولا مثله حتى القيامة يفقد [10].

إذن فعلى كل مسلم أن يعتبر بمصيبة فقد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–لتهون عليه مصيبته في فقد ولده، وعليه بالصبر وتهدئة النفس بالتأمل إلى ما هو أبعد من يومه الذي يعيشه، وليعلم أن ما يعيشه من أيام وسنوات، منقضية حتماً لا قيمة لها فالقيمة الحقيقة، لازالت مخبوءة له في أيام أخرى هي تلك الأيام التي سيقضيها في جنات النعيم وفي رضوان لا يزول ولا يحول.

وإن مما يعين الإنسان على الصبر، اللجوء الدائم إلى الله –جل وعلا – بالذكر، والطاعة، في كل الأوقات، سواء في الشدة أو في الرخاء، فحاجة الإنسان إلى خالقة مستمرة باستمرار حياته، وبعد مماته وإذا لم يشعر بتلك الحاجة في الرخاء فإن ذلك من جهله لذا فالإنسان الفطن هو من يعي تلك الحقيقة ويدركها وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام:(أحفظ الله *يحفظك* أحفظ الله تجده أمامك تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة...)[4]. وحفظ الله –تعالى–والتعرف إليه، يمكن في الأذكار والطاعات والعبادات لذا عنيت أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عنهن بها عناية كبيرة وحرصن على تربية المسلمين وتوعيتهم إلى ضرورة الحفاظ عليها ويتجلى ذلك في الأعمال التربوية التعبدية وهو ما سيتضح في المطلب الثاني.

المطلب الثاني

الجوانب التربوية التعبدية

أولاً: الحض على أداء السنن:

السنن جمع سنة والسنة هي ما نقل عن النبي –صلى الله عليه وسلم –من قول أو فعل أو تقرير، والمراد بالفعل في هذا التعريف: ما نقله الصحابة من أفعال النبي صلى الله عليه وسلم في شئون العبادة وغيرها كأداء الصلوات ومناسك الحج وآداب الصيام. [11]. وهي أي السنن أعمال يتقرب به المسلم إلى ربه ويبتغى بها مرضاته ويتحرى من خلالها الحفاظ على ما كان يتعاهده الرسول–صلى الله عليه وسلم–ويواظب عليه.

لذا ورد عن أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عنهن الحث عليها وترغيب المسلمين بها وذلك من خلال إبراز حسن تأسيهن بالرسول –صلى الله عليه وسلم –ومن خلال دعوتهن إليها، أو من خلال إيضاح حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم – عليها.

وفيما يأتي تفصيل ذلك:

1/ الحث على الدوام على العبادة ولو كانت قليلة:

وذلك ما وضحته السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت: (هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختص من الأيام شيئاً؟ قالت: كان عمله ديمة، [9]. وأيكم يطيق ما كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يطيق). [7]. ويتضمن هذا الحديث إبراز صورة مشرقة للعبادة التي عليها الرسول–صلى الله عليه وسلم–فقد كانت أعماله التعبدية –صلى الله عليه وسلم–مستمرة على الدوام دون ملل أو فتور أو انقطاع وهذه الصورة

تجعل المسلم ينظر إليها بعين الإجلال والإكبار مما يعرفه بحقيقة أمره فيما يتعاهده من عبادات فينكشف له مدى حرصه على العبادة وحينها يحكم على نفسه إن كان مقتدياً برسول الله –صلى الله عليه وسلم–حقاً أم لا. كما أن الحفز يفي قول السيدة عائشة: (وأيكم يطيق ما كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم –يطيق) حفز يأخذ بيد الإنسان فيدفعه إلى حب الاقتداء والمماثلة لمن ذكر له أفضليته عليه وعلى الرغم من كون المماثلة التي يرنو إليها المسلم لا يمكن أن تتحقق لكون الرسول –صلى الله عليه وسلم–يطيق ما لا يمكن لغيرة أن يطيق إلا أن ذلك الحفز يدفعه إلى بذل قصارى الجهد في الدوام على العبادة.

2/ الحث على أداء النوافل وقيام الليل:

يتضح ذلك مما ورد عن السيدة أم حبيبة –رضي الله عنها–في حثها على الحفاظ على السنن الرواتب. فقد ورد في صحيح مسلم عن النعمان بن سالم[10]. عن عمرو بن أوس[10]. قال: حدثني عنبسة بن أبى سفيان. في مرضه الذي مات فيه بحديث يتسار[11]. إليه: قال سمعت أم حبيبة تقول: (سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يقول من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بهن بيت في الجنة، قالت أم حبيبة فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–وقال عنبسة فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة وقال النعمان بن سالم ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس) [3]. ويجدر بنا أن نفعل كفعلهم ونقول كقولهم فما أجمل الأثر الذي يتوالى غرسه في النفوس وما أجمل الاقتداء بمن هم أهل للاقتداء فأم حبيبة رضوان الله تعالى عنها لم يقتصر تعليمها على نقل حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد تتدرج موقفها من التعليم إلى التربية حيث حثت، ضمنياً ببيان حفاظها على الالتزام بتطبيق ما دعا إليه الرسول –صلى الله عليه وسلم –.

لتدعو بذلك كل سامع إلى العناية بتلك النوافل وإلى ضرورة الاقتداء بها فهي زوج الرسول –صلى الله عليه وسلم –وأم المؤمنين.

وقد كان لتلك التربية أثرها حيث تجلى ذلك الأثر في الاستجابة إلى الامتثال والتطبيق، لدى الرواة الذين سمعوا، ورووا ذلك الحديث، فكان كل واحد منهم يسمعه فيرويه ويمتثله ويعلن ذلك الامتثال ليحث بدوره كل من يسمعه فيهدى به. ولم تكن تلك العناية وتلك المواظبة إلا نتيجة لما استلهمته السيدة أم حبيبة –رضي الله عنها–ما أستلهمه الرواة الكرام من استحباب المحافظة على أداء الإثنتي عشرة ركعة [12]. وما تنطوي عليه تلك الركعات من فضل كبير. ومن دروس التربية على النوافل أيضاً. ما روته السيدة عائشة–رضي الله تعالى عنها–قالت: (لم يكن النبي–صلى الله عليه وسلم –على شيء من النوافل أشد منه تعاهداً على ركعتي الفجر) [7]. ونلمس في هذه الصيغة من الحث ما يدعو إلى البحث عن قيمة تلك الركعتين مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يتعاهدهما ذلك التعاهد الشديد، الذي أبرزت قوته السيدة عائشة بقولها أولاً:(لم يكن النبي) ثم قولها:(أشد تعاهداً) وذلك يشير إلى ما يدخره المولى جل وعلا لمن يحرص على أدائهما و يتعاهدمها كتعاهد الرسول –صلى الله عليه وسلم–لهما. وفي ذلك من التربية ما يدفع البصير إلى اليقظة الدائمة التي تدعوه إلى العناية بركعتي الفجر وعدم التفريط فيهما حيث تتضمن كلمات السيدة عائشة التنبيه

على أهمية ركعتي الفجر والتأكيد على المحافظة عليها وأن أداءهما بإخلاص خير من الدنيا وما فيها من متاع. كما حثت–رضوان الله تعالى عنها –على صلاة الضحى فقد أخرج مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يصلى الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله) [3].

وهنا تتضح التربية الطيبة حيث توضح السيدة عائشة عدد الركعات التي يصليها رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في الضحى فهي أربع ركعات وفي هذا العدد من اليسر والسهولة ما يدعو إلى اقتداء به –صلى الله عليه وسلم –فهي ركعات تعادل في عددها ركعات بعض الصلوات المفروضة كالظهر والعصر والعشاء. وبالتالي فإن هذا العدد قد ألفه المسلم في عبادته اليومية وذلك يعنى أنه يخاطب بأداء صلاة هي من اليسر كالصلاة التي اعتادها. ولا يقتصر الحث على ذلك فقط حيث أضافت إليه حثاً ضمنياً وذلك في قولها: (ويزيد ما شاء الله) لتدفع بذلك المسلم إلى الاستجابة التلقائية التي تجعله يكثر من عدد ركعات نافلة الضحى فوق أربع ركعات أي على قدر استطاعته. وهذه التربية تجعل المسلم الواعي، يبذل قصارى جهده لبلوغ العدد الأكبر من الركعات، ليكون مطمئناً إلى حسن اقتدائه برسول الله – صلى الله عليه وسلم. وقد أفاد هذه الحديث أنه لا حصر للزيادة في صلاة الضحى ولكن استقراء الأحاديث الواردة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –يدل على أنه لم يزد على الثمان ولم يرغب في أكثر من اثنتي عشرة ركعة [13]. ومن وجوه التربية التي عنيت بها أمهات المؤمنين–رضوان الله عنهن –أيضاً حرصهن على تعليم صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–ولاسيما حين يستفسر أحدهم ويطلب الإفادة. وحينها يعتنين بالإجابة على الوجه الأكمل الذي يلبى حاجة السائل ويغذى روحه فيما يحتاجه من علم وتربية. ومن ذلك ما أخرجه ابن ماجة عن قابوس [14] عن أبيه قال: (أرسل أبى إلى عائشة: أي صلاة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–كان أحب إليه أن يواظب عليها؟ قالت كان يصلى أربعاً قبل الظهر يطيل فيهن القيام ويحسن فيهن الركوع والسجود) [8]. وبهذه الإجابة تتفضل السيدة عائشة بإهداء التربية والتعليم، في آن واحد، حيث أعلمت السائل أحب الصلوات التي كان الرسول – صلى الله عليه وسلم– يحافظ عليها وهى أربع ركعات قبل صلاة الظهر، ثم انتقلت إلى التربية التي تصقل أداء المسلم لتلك الصلاة ولغيرها من الصلوات بحيث يؤديها على الوجه الأكمل الذي يحبه الله تعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم– وذلك في قولها للسائل:(يطيل فيهن القيام ويحسن فيهن الركوع والسجود) [1] مما يشير إلى الأداء الأفضل للصلاة فإطالة القيام بالتلاوة ومناجاة الخالق سبحانه لها أثرها الكبير في تغذية الروح تغذية نابعة عن اتصال العبد بربه وما يؤدى إليه ذلك الاتصال من شعور بالطمأنينة والخشوع كما أن إحسان الركوع والسجود له أثره في استشعار العبد لضعفه أمام القوة التي يركع لها ويسجد مما يدعوه إلى الخضوع والشعور بالحاجة الدائمة إلى الله –جل وعلا– وإلى مغفرته. ولا يقتصر الفضل على تلك الركعات فقط فهناك من الركعات ما يزيد المؤمن خيراً وذلك ما توضحه السيدة أم حبيبة في قولها: (قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرم على النار). [1]. و يا لها من بشارة طيبة تكفلت بتبليغها لأمة محمد –صلى الله عليه وسلم– لتدعوهم إلى الزيادة من النوافل التي حث الرسول–صلى الله عليه وسلم– على إتيانها ففي هذا

الحديث بشارة بالفوز الكبير الذي أعده الخالق سبحانه لعباده فإذا أضفنا الحث الوارد فيه إلى ما سبقه مما ذكرته السيد عائشة أن أحب الركعات التي كان يتعاهدها الرسول- صلى الله عليه وسلم- هي أربع ركعات قبل الظهر فإن التأكيد عليها في حديث السيدة أم حبيبة- رضوان الله تعالى عنهما- مع ذكر الأربع ركعات التي بعد صلاة الظهر دليل على الفوز الكبير المعد لمن يقيم تلك الصلوات ويحافظ عليها حيث يحظى بمرضاة الله تعالى وليس ذلك فحسب فهناك بشارة بالحماية التامة من النار ففي قول: الرسول-صلى الله عليه وسلم- (حرم على النار) دليل على أن الذي يعتني بتلك الركعات محمى حماية من النار. ولو كان شيئاً يسيراً منها وذلك ما يدل عليه لفظ التحريم.

وإلى جانب ذلك تحض السيدة عائشة على النافلة بعد المغرب والعشاء بإيضاح حرص الرسول-صلى الله عليه وسلم-عليها وفي ذلك تقول: (... وكان يصلى بالناس المغرب ثم يدخل فيصلى ركعتين ويصلى بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلى ركعتين) [3]. مما يدل على أن المحافظة على أداء السنن الرواتب عمل يحبه الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-وذلك يدفع بالمسلم إلى الاجتهاد فيها على قدر المستطاع. كما أن أداءه عليه الصلاة والسلام في بيته يشير إلى أفضلية أداء الرجل للنوافل في بيته. وفي قيام الليل تؤكد السيدة عائشة حرص رسول الله -صلى الله عليه وسلم-عليه وتدعو المسلمين إلى العناية به وفي ذلك تقول لأحد الصحابة (لا تدع قيام الليل فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-كان لا يدعه وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً) [1]. ويتح في هذا التوجيه الأهمية الكبرى لقيام الليل فالسيدة عائشة-رضي الله تعالى عنها- توجه إرشادها بصيغة النهى عن ترك قيام الليل والنهى غالباً يشير إلى خطورة المنهي عنه ويتضح ذلك في قولها: (لا تدع قيام الليل) وبذلك تؤكد على ضرورة القيام وتدعو إليه وليس ذلك فحسب بل تضيف دليلاً عملياً يثير الدافعية إلى الحفاظ على القيام ففي قولها: (فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان لا يدعه) دليل يرشد المؤمن الحق إلى أن من غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم - كان لا يدع القيام مطلقاً مما يدفع المسلم إلى الشعور بأنه هو الأولى بالحرص على القيام الدائم، لما هو محتاج إليه من مغفرة ورحمة. وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على القيام ذلك الحرص الشديد الذي أوضحته السيدة عائشة بقولها: (وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدا) فدل ذلك على أن قيامه عليه الصلاة والسلام كان يؤديه على الدوام دون كلل أو ملل وإذا واجه ما يقلل من قدرته على الصلاة واقفاً صلى – عليه الصلاة السلام-قاعداً، وفي هذا التأكيد من التوعية ما يدفع بالمسلم إلى أن يبذل قصارى جهده في العناية بقيام الليل والحرص على الدوام عليه. وتضيف السيدة عائشة -رضي الله عنها – في حديث آخر إيضاح الكيفية التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم عليها في قيامه في الليل فتقول: (وكان يصلى من الليل تسع ركعات فيهن الوتر وكان يصلى ليلاً طويلاً قائماً، وليلاً طويلاً قاعداً، كان إذا قرأ هو قائم، ركع وسجد وهو قائم وإذا قرأ قاعدا ركع وسجد وهو قاعد وكان إذ طلع الفجر صلى ركعتين) [3]. وهنا تبرز فوائد تربوية جمة، حيث تتضح الضرورة القصوى لقيام الليل، مما جعله يتخذ عدة صور، وهيئات تشير إلى ضرورة أدائه، وخسران التفريط، فيه كما تشير إلى التيسير المتاح لمن يحب الإطالة فيه فقد كان عليه-

الصلاة والسلام–يؤدى صلاة الليل تسع ركعات، يختمهن بالوتر، ويصلى على هيئتين إحداهما وهو قائم، والأخرى وهو قاعد، وذلك يرشد إلى أن القيام والقعود صورتان تعينان المسلم على تنويع هيئة صلاة الليل ليتجدد بهما نشاطه وليستشعر الخضوع والخشوع فيهما.

3/ الحث على الصيام:

لقد تعبدنا الخالق –عز وجل–بالصيام وفرض علينا صوم رمضان وتكفل سبحانه بإثابة الصائمين ثواباً عظيماً ليكون الصوم مدرسة تربوية تعد المسلم إعداد طيباً وتسهم في إعداد ملامح الشخصية الإسلامية بحيث ينطلق المسلم مما تعلمه في صيامه من صبر وجلد إلى تحمل التكاليف والمشاق التي تواجهه في دينه ودنياه. ومن هنا كان الصيام أمراً من الأمور التي حرص الرسول –صلى الله عليه وسلم– على الإكثار منها زيادة على ما فرضه الخالق –جل و علا– وقد وعت أمهات المؤمنين– رضوان الله تعالى عنهن– ذلك الحرص وأدركن تلك الأهمية وأبرزن صورة صيامه –صلى الله عليه وسلم– وأوضحن الأيام التي كان يتعاهدها بالصيام فلا يفوته صومها مطلقاً . تقول السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها–: (كان رسول الله– صلى الله عليه وسلم – يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم فما رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان)[7]. وبهذه الصيغة في إيضاح منهج الصوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تبرز السيدة عائشة، يسر الإسلام، والطريقة المثلى في عبادة الصوم حيث تتضح حرية الاختيار التي حظي بها المسلم بحيث يختار من الأيام ما يشاء أن يصوم فيه فإذا أحب أن يواصل الصوم لمدة طويلة فله ذلك وإذا أحب أن يمتنع عن الصوم لمده طويلة فله ذلك أيضاً ولا يؤاخذ على فعله إلا في الشهر المفروض عليه شهر رمضان .وذلك ما يدل عليه قوله –رضوان الله تعالى عنها–:(يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم) .وذلك يفيد بأنه عليه الصلاة والسلام يختار بعض الأيام فيصومها صوماً متتالياً لا يفطر بينها إلى درجة أنهم يقولون أنه لن يفطر أبداً ولكنه عليه الصلاة والسلام يختار أياماً أخرى ليفطر فيها ويترك الصوم مؤقتاً فتتوالى تلك الأيام إلى أن يقولوا أنه لن يصوم. ثم تضيف السيدة عائشة مثالين على قولها لتؤكد ذلك المنهج فتقول: (فما رأيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان). وبهذا القول توضح رضي الله تعالى عنها الأيام التي يفطرها الرسول–صلى الله عليه وسلم –والأيام التي يصومها ففي بعض الشهور تلاحظ عدم استكماله لها بالصوم بحيث يترك عليه الصلاة والسلام الصيام فيها لفترة قد تكون طويلة أحياناً وهذا ما نستنتجه من قولها (حتى نقول لا يصوم) وفي بعض الشهور تلاحظ حرصه على الصيام الكثير كصيام شهر شعبان مما يشير إلى الأجر العظيم الذي يختص الصوم في هذا الشهر. قولها (حتى نقول لا يصوم) وفي بعض الشهور تلاحظ حرصه على الصيام الكثير كصيام شهر شعبان مما يشير إلى الأجر العظيم الذي يختص الصوم به في هذا الشهر.

ومن الأيام التي كان يحرص الرسول–صلى الله عليه وسلم–على صومها ما أخبرت به السيدة حفصة رضي الله تعالى عنها في قولها: (أربع لم يكن يدعهن النبي –صلى الله عليه وسلم–صيام يوم عاشوراء والعشر[11].

وثلاثة أيام من كل شهر وركعتين قبل الغداة) [4]. وتلك هي سنته صلى الله عليه وسلم في تلك الأيام الكريمة المباركة حيث كان يتعاهدها بالصوم فلا يترك ذلك مطلقاً وفي قول السيدة حفصة إيضاح لذلك الحرص وتربية تدفع المسلم إلى تحرى أهمية تلك الأيام والدوام على صيامها حيث تقول:(لم يكن يدعهن). وهذا النفي يتضمن حثاً يشعر المسلم بضرورة الاقتداء فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد حافظ على صيام تلك الأيام وذلك يدل على أنها أيام مباركة تتنزل فيها الرحمات وتستوجب فيها المغفرة لذا فالمسلم مطالب بتلمس أوقات النفحات الإلهية والتعرض لها بالطاعات والقربان للفوز برضوان الله عز وجل. وقد اقتدت أمهات المؤمنين رضوان الله عنهن بفعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–فكن يصمن قدر استطاعتهن ولاسيما السيدة عائشة التي كانت تصوم كثيراً وقد قيل: (أن عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر) [12].

ويشير هذا الوصف إلى حرصها الشديد على الصوم وفي ذلك من التربية ما يدعو المسلم إلى جهاد النفس والإكثار من الصيام فالمسلم بحاجة إلى الأعمال التعبدية التي تعينه على تحصيل الأجر والثواب، وفي الصيام ما يلبى تلك الحاجة. والسبيل إلى الإكثار من الصوم يمكن في التعود عليه، حيث يمكن أن يضع الإنسان خطة لذلك، كأن يحدد لأول ثلاثة أشهر من بدء الخطة: صيام الأيام البيض منها وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر ثم يضيف إليها كل يوم اثنين وخميس ومن كل أسبوع ثم يضيف لنفسه ما يشاء من الأيام مستقبلاً على أن يحرص على الالتزام بتطبيق الخطة التزاماً محكماً يدعوه إلى النشاط وعدم التخاذل. وفي الحقيقة، أن التعالي على النفس، وتعويدها إتباع التخطيط العقلي السليم ينافي إتباع هواها ويقلل من أثرها في الأمر بالسوء وفي ذلك يقول المولى –جل وعلا (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ). ويتحدث الشاعر عن طبيعة النفس وقدرة الإنسان في السيطرة عليها بقوله:

والنفس كالطفل إن تمهله شب على ** حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم [16].

وهذا الجانب التربوي ثمرة من ثمرات أمهات المؤمنين في تربية النفس وتزكيتها مما أثر عنهن من قول وعمل رضي الله تعالى عنهن.

ثانياً: حض النساء على التفقه في الدين وضبط خلق الحياء:

المرأة بطبعها السليم تشعر بالحياء، الذي يمنعها من السؤال والأخذ والعطاء مع الرجال ولاسيما فيما يتعلق بشؤون النساء إلا أن هذه السمة تتعارض مع حاجتها إلى التفقه في أمور دينها والتعرف إليها. فقد فصل الإسلام الضوابط المختلفة التي تلبى حاجة المرأة إلى التعرف على ما يجب عليها تجاه ما ابتليت به من حيض واستحاضة، ونفاس وغيرها من الأمور الفقهية التي تختص بها المرأة.

ولما كان المعلم هو رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فقد كانت الحاجة تتطلب الرجوع إليه والتفقه على يديه وعلى الرغم من كون أمهات المؤمنين قد كن الواسطة التعليمية بينه وبين نساء الأمة إلا أن الصحابيات– رضوان الله تعالى عنهن– كن يشعرن أحياناً بالحاجة الماسة إلى طلب الفقه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة وقد أدركت أمهات المؤمنين تلك الضرورة وعرفن قدرها وشجعن المسلمات على عدم التردد في إبراز تلك الحاجة في الظروف الداعية إليها، وفي ذلك تثنى السيدة عائشة –رضي الله عنها– على نساء

الأنصار: (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)[7]. ونلمس في هذا الثناء الدعوة إلى ضرورة الموازنة في خلق الحياء، ووضع الضابط السليم له، فالضرورات الحياتية، تتفاوت في درجاتها، ومنها ما يضطر المرأة إلى أن تضبط ما يداخلها من حياء لتتمكن من الإيفاء بحاجتها.

(لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) لتبين الفصل في مسألة الحياء ولتحدد الأمر الذي ينبغي للمرأة أن تتحدى فيه حياءها. وهي–رضوان الله تعالى عنها–بهذه الكلمات تشجع النساء على أن يحذين حذوهن ويسلكن سبيلهن في الحرص على التعلم والتفقه ليكن على بصيرة فيما يخصهن من أمور، وليتفادين بذلك الوقوع في المحظور. ومن المواقف التي استحقت النساء عليها ذلك الثناء ما روته السيدة عائشة: (أن أم حبيبة استحيضت سبع سنين، فسألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–عن ذلك فأمرها أن تغتسل فقال (هذا عرق) فكانت تغتسل لكل صلاة) [7]. وهذه الحادثة تبين الضرورة التي ألجأتها للاستفسار من رسول الله – صلى عليه وسلم –مباشرة فقد عانت –رضوان الله تعالى عنها– من الاستحاضة لمدة سبع سنين شعرت خلالها بالحياء من السؤال والتعرف على ما يجب عليها اتخاذه تجاه تلك الحالة إلا أنها تحدت ذلك الحياء فيما بعد ، ورفعت الأمر إلى رسول الله– صلى الله صلى الله عليه وسلم– ليبين لها الفصل فيه .وبالفعل بين لها الرسول – صلى الله عليه وسلم –حاجتها، وأرشدها إلى السلوك الذي ينبغي فعله ولولا استفسارها، وتعليم الرسول، لها ولولا نقل السيدة عائشة –رضي الله تعالى عنها– هذه الحقيقة لأصبحت النساء في حيرة من أمرهن حينما يتعرضن لمثل هذه الحالة والحمد لله رب العالمين.

ثالثاً: الحض على إتقان تلاوة القرآن الكريم والتفاعل معه، الخشوع أثناء تلاوته:

القرآن الكريم كتاب الله (تعالى) المنزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–وقد تعبدنا الخالق– عز وجل– بتلاوته وأمر رسوله الكريم –صلى الله عليه وسلم–أن يتلوه فقال تعالى:(وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ من كِتَابِ رَبِّكَ). وأثنى عليه فقال:(رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً) وأثنى كذلك على المؤمنين الذين يتلونه بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ). ولأجل ذلك وعت أمهات المؤمنين –رضوان الله تعالى عنهن–ضرورة تلاوة كتاب الله تعالى وترتيله وضرورة تدبر آياته وعلمن ما لتحسين الصوت أثناء التلاوة من أهمية بالغة فتحسين الصوت ينتج عنه التفاعل والرغبة في القراءة والتأثير، فصاحب الصوت الحسن يتأثر ويؤثر في غيره [13] .لذا كن يتمتعن بسماع التلاوة ويقبلن على الإنصات والتدبر ومن ذلك ما ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت (أبطات على عهد رسول الله– صلى الله عليه وسلم – ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال:أين كنت: قلت كنت استمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له ثم التفت إلى فقال: هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا)[8]. وفي هذه الرواية تبرز عدة مواعظ تربوية طيبة فإبطاء السيدة عائشة عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– يفيد بأن السبب الذي دفعها إلى ذلك سبب مهم وهو الإنصات إلى تلاوة تأخذ بالألباب تلاوة جعلت من السيدة عائشة تتأخر في حضورها إلى النبي–صلى الله عليه وسلم– وهى من هي في شدة حبها له وحرصها على كسب كل دقيقة من الوقت

المخصص لها في البقاء إلى جانبه ولكن هنالك مادعا إلى تأجيل هذا الحرص مؤقتاً وهو التلاوة فهي ليست كأي تلاوة إنها تلاوة إنسان تقول عنه (لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد) إذن فالحال يدعو إلى البقاء والإنصات. والصوت الندى ينال الأولوية في الاهتمام والعناية غالباً. وفي هذه الحقيقة ما يدفع الإنسان إلى بذل الجهد في ترتيل القرآن، الترتيل السليم والدوام على ذلك ليكسب المران ويتقدم في حسن التلاوة شيئاً فشيئاً إلى أن يتمتع بالقدرة على التأثير في الآخرين، وجذبهم إلى حب الإنصات إلى القرآن الكريم وحب تلاوته وحب الاقتداء به. وهذه الحقيقة يؤكدها فعل النبي –صلى الله عليه وسلم–الذي رباهن –رضوان الله تعالى عنهن–على حب القرآن، وأيدهن في حبهن وإقبالهن عليه، فقد اعتنى–صلى الله عليه وسلم–بما اعتنت به السيدة عائشة وحرص على تشجيع فعلها، فقام لينصت هو أيضاً. ولما حضر ورأى القارئ وأنصت له أخبرها عنه بقوله عليه الصلاة والسلام: (هذا سالم مولى أبى حذيفة) ثم عقب مؤيداً لصحة إعجابها بتلاوته بقوله:(الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا) ليدفع بذلك كل سامع إلى الإقتداء بذلك الصحابي الجليل والتحلي بتحسن التلاوة والارتقاء بالترتيل وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام :(زينوا القرآن بأصواتكم) [1].

ومما ينبغي التنويه إليه هنا أن السيدة عائشة –رضي الله تعالى عنها–بموقفها الكريم ومحاورتها الطيبة لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–وإبداء تعجبها من تلاوة سالم أبى حذيفة كانت سبباً في التوجيه التربوي النبوي المتمثل في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا) مما يشعر المرء بالسعادة الغامرة أن يكون في مثل تلاوة ذلك الصحابي الذي أدخل السرور إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم حتى شكر الله تعالى على أن هذا الرجل في أمته. ولا يقتصر ترتيل القرآن في التأثير على البشر بل يتعدى إلى جذب الملائكة عليهم السلام فالملائكة تطوف بمجالس الذكر لترتع منها وخير مجلس للذكر الترتيل الحسن. ومما يدل على ذلك ما حدث للصحابي الجليل أسيد بن حضير–رضوان الله تعالى عنه–الذي أخبر عن نفسه: (بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت[9]. الفرس فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه فلما اجتره [11]. رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراه فلما أصبح حدث النبي–صلى الله عليه وسلم – فقال له اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال: (وتدرى ما ذلك؟ قال: لا قال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم) [7]. وبالإضافة إلى ما سبق توضح أمهات المؤمنين–رضوان الله تعالى عنهن –الوجه الأمثل للتلاوة، للدعوة إليه والحث على تطبيقه وفي ذلك تقول السيدة حفصة: (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته[9] قاعداً حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلى سبحته قاعداً وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها) [3]. وهنا تبرز السيدة حفصة صورة الترتيل الطيب الذي كان الرسول – صلى الله عليه وسلم– يؤديه أثناء تلاوته، فقد كان يرتل السورة ترتيلاً متأنياً يبرز من خلاله عظمة السور

القرآنية، وجمال عرضها وسلاسة ألفاظها، بحيث يشعر السامع أن السورة التي يرتلها هي أطول سورة قرآنية. وفي هذا الوصف ما يدعو إلى تحرى الأساليب المختلفة التي تدعو الآيات إليها أثناء التلاوة.

فمن الضرورة بمكان أن يتدبر المسلم ما يقرأه ويتلو حق تلاوته بحيث يمنح الآيات التي تتضمن السؤال نبرة السؤال والآيات التي تتضمن التعجب نبرة التعجب والآيات التي تتضمن ذكر الجنة ونعيمها نبرة السرور والتمني والآيات التي تتضمن ذكر النار والعذاب نبرة الحزن والنفور. ولا يتلو القرآن تلاوة سريعة تشين به وتذهب معانيه وتنفى إمكانية تدبره والتمتع بفهم ما يحويه من شرائع وقيم وآداب.وتؤكد السيدة عائشة ذلك عندما ذكر لها أن ناساً يقرؤون القرآن في الليلة مرة أو مرتين فقالت: (أولئك قرأوا ولم يقرؤوا!! كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يقوم الليلة التمام فيقرأ سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء ثم لا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله –عز وجل–ورغب ولا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله – عز وجل –واستعاذ) [3]. ففي قولها: (أولئك قرأوا ولم يقرؤوا) ما يوضح أن ختم القرآن الكريم ليس في الأهمية كتدبره والخشوع أثناء تلاوته فقد قارنت فعل أولئك الناس بفعل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فوجدت أنهم قرأوا القرآن كاملاً مرة أو مرتين في ليلة واحدة ورأت أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قرأ بعض السور فقط، وهي البقرة وآل عمران والنساء في ليلة واحدة ولكن شتان مابين قراءتهم وقراءته. فقراءتهم تسمى قراءة من حيث كونها قراءة لا من حيث كونها تلاوة وترتيلاً وتدبراً لذا قالت عنهم أنهم: (قرأوا ولم يقرؤوا) ثم شرعت في إيضاح حقيقة التلاوة السليمة الطيبة، التي تعود بالنفع على القارئ فقالت: (كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–يقوم الليلة التمام) وفي هذا القيام ما يدعو إلى التعاون الزوجي في تعليم الترتيل الصحيح وما يتضمنه ذلك من عظة بالغة في ضرورة عناية الزوج بتعليم أهله التلاوة وإشراكه لهم في قيام الليل وإحيائه الليل بالتلاوة العطرة.

ثم تبين السور التي اكتفي الرسول –صلى الله عليه وسلم–بتلاوتها فهي ثلاث سور فقط ولكن الخير ليس في العدد، إنما في العائد من ذلك العدد والعائد عليه–صلى الله عليه وسلم –وعليها خير كثير يمكن في موقفه – صلى الله عليه وسلم –أثناء التلاوة حيث كان عليه الصلاة والسلام لا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله عز وجل أن يقيه ما تخوف منه الآية، واستعاذ من أن يمسه شيء منه، وهنا بكرم الله تعالى وفضله تتحقق للإنسان أمنيته فينجو من ذلك ويفوز. كما أنه عليه الصلاة والسلام كان عندما يمر بآية فيها استبشار يدعو الله – عز وجل–ويسأله أن يحظى بنصيب من تلك البشارة ويرغب فيما عنده من خير كثير وبذلك يتحقق للإنسان–بفضل من الله تعالى ومنة– ما تمنى ويفوز فوزاً كبيراً. وهذه الحقيقة توضح أن قارئ القرآن، الذي يتعجل في تلاوته ويهمل التفاعل مع آيات الله تعالى يفوت على نفسه الكثير من الخير، ويبتعد عن النهج الفاعل في النفس، والداعي إلى الخشوع، والفهم والتدبر. والتدبر يقتضي ألا يقف القارئ عند ظاهر الكلمات بل لابد أن يبحث عما وراء هذه الألفاظ من معان ومقاصد وغايات فإن معاني القرآن الكريم لا تتقضى لذلك أستنبط العلماء المتدبرون هذه الثروة العلمية العظيمة من آيات القرآن الكريم وما هذه العلوم التي نفاخر بها الدنيا إلا قطرة من هذا البحر الزاخر[13]. (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا). ولما في التدبر من ضرورة بالغة أوصى عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه

كل قارئ فقال:(لا تنثروه نثر الدقل[11]. ولا تهزوه هز الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة[13].

وموقف السيدة عائشة –رضي الله تعالى عنها–في تفاعلها مع آيات القرآن الكريم يوضح ذلك فقد ورد عنها أنها كانت عندما تقرأ قوله تعالى:(فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ). تدعو وتبكي وترددها[12]. وهذا التفاعل يبرز الخشوع والتدبر الذي كانت عليه. وهي في هذا الحال مثال وقدوة لمن يتعطش إلى معرفة السبيل المعين على الخشوع أثناء التلاوة، فالتفاعل عامل من العوامل المؤدية إلى ذلك حيث يعيش المسلم في رحاب القرآن ويتدبر معانيه فيتبادل المناجاة معه، ويسعد بالغذاء الذي يستلهمه منه، فتسمو به روحه، ويخشع به قلبه. لذا حثت أم المؤمنين السيدة صفية بنت حيي –رضوان الله تعالى عنها–قوماً اجتمعوا عندها فذكروا الله –عز وجل– وتلوا القرآن وسجدوا [18]. فنادتهم صفية (هذا السجود وتلاوة القرآن فأين البكاء؟) [19].

وبهذا السؤال، تثير حقيقة غائبة عن الأذهان، فالقرآن الكريم، كتاب –الله تعالى –وليس من الكتب التي كتبت بيد البشر وبالتالي فهو كتاب عظيم، تستدعى عظمته وأهميته الخشوع والبكاء، فإن كان القلب قاسياً لا يشعر بتلك الضرورة فإن عليه التباكي، كما أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم –في قوله:(إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه، فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا) [8]. فلا شك إذن أن الخشوع الذي حثت عليه أمهات المؤمنين أمر من الأمور التي تؤثر في الإنسان فتقوى إيمانه، وتمده بالعزيمة التي تعنيه على الطاعة، والثبات في دينه ودنياه.

الخاتمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى.

لقد أنهيت رحلتي العلمية التربوية في رياض أمهات المؤمنين، وتنسمت من أريجهن الفواح، وتعطرت من شذاهن الطيب، أرى من المناسب والمفيد أن أختتم بحثي بأبرز ما توصلت إليه:

1/ يعد مصطلح (أمهات المؤمنين) مصطلحاً إيمانيا تعبديا، له أهميته وأثره على أمهات المؤمنين خاصة وعلى الأمة الإسلامية عامة علمياً إيمانيا وتعبديا وتربوياً مما أهلهن لمرتبة القيادة والريادة.

2/ تعد مآثر المفاهيم الإيمانية والتعبدية والتربوية لأمهات المؤمنين وسماتهن، منبعاً من منابع الخير والفضيلة، ويمكن أن يستمد منهن على ما يعين المرأة على الحفاظ على كرامتها وعفتها، الأمر الذي يهيأ لها أسباب السعادة في الدارين.

3/ إن مآثر المفاهيم التربوية والإيمانية والتعبدية، عن أمهات المؤمنين تعد ذخيرة علمية ثرة، تستفيد منها المرأة المسلمة، إذا تم الاعتناء بتعليمها إيمانيا وتعبديا وتربويا.

4/ تعد المفاهيم التربوية للمآثر الإيمانية والتعبدية، المتبعة لدى أمهات المؤمنين، من الأساليب التي يمكن الاستفادة منها في تربية نساء الأمة الإسلامية.

التوصيات

1/ الاعتناء بمصطلح أمهات المؤمنين، وذلك من خلال ربطه بكل عمل إيماني وتعبدي وتربوي صدر منهن للكشف عن أهميته، والبحث في الحكمة العظيمة التي أهلتهن للحظوة به.

2/ ضرورة تحرى القائمين على المناهج التعليمية للمكانة العلمية التي بلغتها أمهات المؤمنين، والاستفادة منها في تقوية إيمان المسلم من خلال تعبده بالشعائر الإسلامية.

3/ على الآباء والأمهات غرس مآثر المفاهيم الإيمانية والتعبدية والتربوية الحق، في أذهان النشء والتمييز بين التربية التي تتناسب طبيعة المرأة والتربية التي تناسب طبيعة الرجل.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

[1] / الأشعث، أبو داؤود سليمان ت(275)هـ ، سنن أبى داؤد, بن, الطبعة الأولى , دار الفكر بيروت , تحقيق محمد محي الدين – كتاب الأدب باب 107 ما يقول عند النوم – رقم الحديث 5045 – ج2 – ص 731.

[2]/الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى , ت(297) هـ الطبعة الأولى 1408هـ . دار الكتب العلمية بيروت .كتاب الدعوات باب 18 رقم الحديث 3398 – ج5 – ص 439 .

[3]/ النووي، ابو زكريا يحي ت(676) هـ ، صحيح مسلم بشرح النووي , الطبعة الرابعة 1422هـ . دار الحديث القاهرة.كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب 26 استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته رقم الحديث 592 – ج2 – ص75.

[4]/ بن حنبل، الإمام احمد ت(241) هـ ، مسند الأمام أحمد شرح حمزة الزين مؤسسة قرطبة القاهرة ج 6 – ص 294 – 322.

[5]/ الزهري، محمد بن سعد بن منيع ت(230) هـ، الطبقات ,لابن سعد , , دار صادر بيروت ج8 ص 139 .

[6]/ قطب، سيد قطب ت (1387) هـ ، في ظلال القرآن , للشهيد الطبعة الخامسة 1386هـ – ج 13 – المجلد الرابع ص 2089 .

[7]/ العسقلاني , ابن حجر ت(852) هـ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري , الطبعة الأولى 1416هـ دار أبي حيان القاهرة – كتاب التوحيد باب 9 وكان الله سميعا بصيراً – ج15 – ص 324 .

[8]/القزويني، ابو عبد الله محمد بن يزيد ت(273) هـ، سنن ابن ماجه, الطبعة دار الفكر– كتاب الطلاق باب 25 – الظهار رقم الحديث 2063 ج1 – ص 666.

[9]/ ابن منظور، محمد ابن مكرم الإفريقي ت(711) هـ، لسان العرب, الطبعة الثالثة 1419هـ دار أحياء التراث العربي بيروت لبنان – ج3 – ص 203 .، ظهور الحصر: الحصير سقيفة تصنع من بردى – وأسل

ثم تفرش – سمى بذلك لأنه يلي وجه الأرض . المراد خطاب النبي – صلى الله عليه وسلم – لأزواجه : أنكن لا تعدن تخرجنا من بيتكن وتلزمن الحصر وهو جمع حصير الذي يبسط في البيوت .

[10]/ ابن هشام,أبو محمد عبد الملكت(218) هـ، السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان من قصيدة لحسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه في رثاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ج4 – ص 319 .

[11]/ السباعي، مصطفى ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي , الطبعة الأولى دار الكتب العلمية القاهرة – ص 47 – .

[12] / النووي، أبو زكريا يحي، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين , الطبعة الأولى 1397هـ والثانية عشر 1406 هـ . مؤسسة الرسالة بيروت من كلام سيد المرسلين ج 2 – ص801 .

[13] / نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين, لأبي زكريا يحيا النووي – ج 2 – ص 803 .مرجع سبق ذكره.

[14] / المزي، جمال الدين ابي الحجاج ، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ج 23 – ص 327 – 333.قابوس ابن أبى ظبيان – حصين بن جندب قال النسائي ليس به بأس – توفى بالمدينة في خلافة عبد الملك وكان قليل الحديث

[15] / بن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن ، صفة الصفوة, الطبعة الثانية 199هـ دار المعرفة بيروت – ج 2 – ص31 .

[16] / الجزولى، كتاب دلائل الخيرات، الطبعة دار الكتب العلمية بيروت من قصيدة البردة – للبوصيرى – ص 237 .

[17] / عباس،الدكتور فضل عباس ،إتقان البرهان في علوم القرآن, الطبعة دار الكتب العلمية بيروت –ج 1– ص 30 .

[18] / جمعه، أحمد خليل، نساء أهل البيت، الطبعة الأولى دار الحديث القاهرة – ص 360 .

[19] / الأصفهاني، أبو نعيم أحمد، حلية الأولياء , الطبعة الرابعة دار الكتاب العربي بيروت – ج2 – ص 55 .